

سُوْرَةُ التَّحْرِيرِ



النَّزُولُ: مدنية.

المَقَاصِدُ:

- ١ - التَّحْذِيرُ مِنْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى.
- ٢ - بِيَانِ أَدْبِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحِرِّمْ مَا أَهْلَ اللَّهُ لَكَ تَبْنَى عَنِ الْمَرْضَاتِ أَزْوَاجَكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ
 لَكُمْ تَحْلَةً أَيْمَنَكُمْ وَاللَّهُ مُولَّكُكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
 فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ مِنْ أَبْنَائِكَ هَذَا
 قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ
 هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْكُنَّ أَنْ
 يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنِيتِ تَبَيَّنَتِ عَيْدَاتٍ سَيِّحَتِ تَبَيَّنَتِ وَأَبْكَارًا
 يَكِيْهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا فَوْ أَنْفَسُكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلِكَةٌ غِلَاظٌ
 شَدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾

١ - سبب النزول:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتوصيَتْ أنا وحفصة أنَّ أَيَّتَنا دخل عليها النبي صلوات الله عليه وسلم فلتقلُّ: إِنِّي لأَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكُلُّ مَغَافِيرَ، فدخل على إِحْدَاهُما فقالت له ذلك، فقال: «لَا بَأسٌ، شربتُ عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحِرِّمْ مَا أَهْلَ اللَّهُ لَكَ تَبْنَى عَنِ الْمَرْضَاتِ أَزْوَاجَكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةً أَيْمَنَكُمْ وَاللَّهُ مُولَّكُكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ مِنْ أَبْنَائِكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ لِعائشة

وحفصة ﴿وَإِذْ أَسَرَ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقوله : بل شربت عسلًا . (صحيح البخاري - الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحِرِّمُ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُ﴾ برقم ٥٢٦٧) .

التفسير:

يُخاطب الله تعالى رسوله ﷺ بشرف النبوة ، ويعتب عليه حينما امتنع من وطء أمة له ، إذ حلف ألا يطأها ؛ مراعاةً لرغبة عائشة وحفصة ﴿ع﴾ ، وأوصى حفصة ألا تحدث أحداً بالحلف ، أو جاء العتاب حينما امتنع عن شرب العسل بعد أن شربه عند زينب ﷺ ، فاتفقت عائشة وحفصة أن تقولا له إذا دخل عليهما : إنني لأجد منك ريح مغافير - وهو مادة نباتية حلوة لها رائحة كريهة .. فقال الرسول ﷺ لحفصة : لا بأس ، شربت عسلًا عند زينب ، ولن أعود له . من أجل ذلك جاء العتاب : لم تمتن عن هذا الأمر الذي أحاله الله لك ، تتبعي إرضاء عائشة وحفصة ﴿ع﴾ ؟ والله عظيم المغفرة والرحمة .

٢ - قد شرع الله تعالى لكم - أيها المؤمنون - ما تتحللون به من أيمانكم بأداء الكفارة ، بإطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، والله ناصركم ومُتولي أمركم ، وهو العليم بتدبير خلقه ، الحكيم بأحكامه .

٣ - وإذ أسرَ النبي إلى زوجته حفصة ﷺ ما امتنع عنه من نكاح الأمة ، أو شرب العسل ، فلما أخبرت عائشة بذلك ، وأطلعه الله على إفشاءها سره لعائشة ﷺ ، أعلم حفصة بعض ما أفشلت به ، وأعرضَ عن إعلامها بعضه تكرّماً . فلما أخبرها بما أفشلت من الحديث قالت متعجّبةً : منْ أخبرك بأنّي أفشيت سرّك ؟ فأجاب النبي ﷺ : أخبرني به الله العليم ، الخير بالسرّ والعلن .

٤ - يعتب الله على عائشة وحفصة ﴿ع﴾ بسبب غيرتها : إن تتوبا إلى الله فقد وجد منكما محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من إفشاء سره ، وإن تعاوننا على النبي بما يسوءه فإنَّ الله وليه وناصره ، وجبريل صالح المؤمنين والملائكة بعد نصرة الله أ尤وان له على من يؤذيه .

عن ابن عباس ﷺ قال : أردت أن أسأل عمر ﷺ فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ ؟ فما أتممت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة .

(صحيح البخاري ٥٢٦ / ٨ - كتاب التفسير - سورة التحرير - ﴿تَبَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجَكَ﴾ برقم ٤٩١٤).

٥ - سبب النزول:

عن عمر رضي الله عنه: اجتمع نساء النبي صلوات الله عليه وسلام في الغيرة عليه، فقلت لهنّ: عسى ربّه إن طلّقكُنْ أن يُبَدِّلَهُ أزواجاً خيراً منكُنْ، فنزلتْ هذه الآية. (صحيح البخاري ٥٢٨ / ٨ - كتاب التفسير - سورة التحرير ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَقَكُنْ﴾ برقم ٤٩١٦).

التفسير:

يُخاطب الله تعالى بعض زوجات النبي صلوات الله عليه وسلام: إن طلّقكُنْ محمد صلوات الله عليه وسلام عسى ربّه أن يُزُوّجه بدلًا منكُنْ زوجات خيراً منكُنْ، خاضعات لله بالطاعة، مُصدّقات بالله ورسوله، مطيعات لله، راجعات إلى ما يحبّه الله، كثيرات العبادة له، صائمات، متّأمّلات في خلق الله، منهنّ الشّبات، ومنهنّ الأّبكار.

٦ - يا أيّها المؤمنون، احفظوا أنفسكم وأزواجكم وأولادكم من نار شديدة، بطاعة أمر الله واجتناب المعاشي. تلك النار التي تُوقّد من أجساد الكفار والحجارة الملتهبة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة غلاظ القلوب أقواء الأجسام، لا يخالفون أمر الله، وينفذونها.

الفوائد والاستنباطات:

١ - عظُم شأن النبي صلوات الله عليه وسلام عند الله، وهو صلوات الله عليه وسلام بشرٌ يتأثر مما يتأثر منه البشر.

٢ - من لُطف الله بالنبي صلوات الله عليه وسلام وبال المسلمين، ومن رحمته أن شرع لهم تحلّة القسم بأداء الكفار لليمين.

٣ - مَنْ حَرَّمَ على نفسه زوجة أو طعاماً، لم تَحْرُمْ عليه، وتلزمـه كفارة يمين.

٤ - لا بأس بإسرار بعض الحديث إلى مَنْ يُرْكِنُ إليه من زوجة وصديق، وأنّه يلزمه كتمانه.

٥ - حسن العشرة مع الزوجات، والتلطف في العتب، والإعراض عن استقصاء الذنب.

٦ - إكرام الله ﷺ لنبيه ورسوله محمد ﷺ بما أطلعه على ما كان من زوجته، وتأديب الله لها، وأمرهما بالنوبة.

٧ - فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرٍ ، فقد قال تعالى في حقهما: ﴿وَصَلَّى
الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

٨ - وجوب أمر الأولاد والأزواج بطاعة الله واجتناب معااصيه. ويشمل كل من هو تحت ولاية المرأة، ومن يأتمن بأمره.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا إِلَيْمَ إِنَّمَا تُجْزَوُنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧﴾
 إِلَى اللَّهِ تَوْبَةٌ نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَدْخُلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ثُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
 يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمْ لَنَا نُورُنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِي جَاهَدَ
 الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوْجَ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنَ مِنْ عِبَادِنَا صَدَلِحَيْنَ
 فَخَانَتْهُمَا فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّخْلَيْنَ ١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ
 مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَحْنُ مِنْ
 فِرْعَوْنَ وَعَمَلَهُ وَنَحْنُ مِنْ الْقَوْمِ الظَّلَمِيْنَ ١١﴾ وَمَرِيمَ ابْنَتِ عَمْرَنَ الَّتِي أَحْسَنَتْ فَرَجَهَا
 فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوْحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُثُرَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْمُفَتَّشِيْنَ ١٢﴾

التفسير:

٧ - يُقال للكافر وهم في النار: لا تعتذر عن ذنبكم، فإنه لا ينفع اليوم الاعتذار، إنما تُعاقبون على ارتكابكم الجرائم في الحياة الدنيا.

٨ - يا أيها المؤمنون، توبوا إلى الله تعالى من ذنبكم توبة خالصة بالندم على الذنب والإقلال عنه، والعزم على ألا يعود إليه. لعل الله يمحو عنكم ذنبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهر، يوم لا يُخزي الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين معه، نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة يسر

أمامهم ومن حولهم حين يسعون يوم القيامة إلى الجنة يدعون الله: يا ربنا أتِمْ لَنَا نُورَنَا حَتَّى نَصْلِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَاسْتُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَنَا. إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يَعْجِزُكَ شَيْءٌ.

٩ - يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين؛ لنصرة الدين والمحافظة على المسلمين، وأن يستعمل معهم الحزم والحجّة والبرهان، ومصيرهم نار جهنّم. وساعت جهنّم مصيراً ومستقراً.

١٠ - يضرب الله تعالى الأمثال لأحوال المؤمنين والكافرين: إن اتصال الكافر بالمؤمن وقربه في النسب لا ينفعه شيئاً، وإن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً مع قيامه بالواجب عليه؛ لعله يتوب إلى الله، كما في الآيات الثلاث التالية: فقد ضرب مثلاً لحال الكفار امرأة نوح وامرأة لوط ﷺ كانتا زوجتي نبيين، فخانتهما في أمر الدين، فلم يدفع هذان النبيان عن زوجتيهما من عذاب الله، وقيل لزوجتيهما توبياخاً: ادخلوا نار جهنّم مع الداخلين فيها.

١١ - ١٢ - وضرب مثلاً لحال المؤمنين آسيه امرأة فرعون، إذ قالت: يا رب اجعل لي بيتك في الجنة، وأنقذني من طغيان فرعون وجرائمها، وأنقذني من القوم المعتدلين، وضرب مثلاً آخر لحال المؤمنين مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الفاحشة، فأمر الله تعالى جبريل ﷺ أن ينفح في جيب قميصها، فحملت بعيسى ﷺ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وما فيها من الشرائع، وكانت من أهل الطاعة لله تعالى.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - اعتذار الكافرين يوم القيمة لا يُجدي، ولا يفيدهم شيئاً.
- ٢ - المؤمنون لهم نور يكرمهم الله به، يكون من أمامهم وعن يمينهم يوم القيمة.
- ٣ - البيئة لا تحكم في الإنسان، ولكنها تؤثر، والمؤمن هو الذي يؤثر في البيئة، ولا يتأثر.
- ٤ - يحسُّ بالداعية أن يستخدم ضرب الأمثال؛ لإرشاد الناس إلى ما يدعوهم إليه.
- ٥ - وجوب التوبة الصادقة من الذنب.

- ٦ - وجوب جهاد الكفار المقاتلين بالقوة، وجهاد المنافقين باللسان.
- ٧ - تقرير خيانة امرأة نوح ولوط في الدين.
- ٨ - تقرير مبدأ: «لا تَنْزِرْ وَازْرُّ وَزْرًا أَخْرَى»؛ فالكافر لا ينتفع بالمؤمن يوم القيمة.